مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 7 (رت 69) السنة: 2022

آليات اشتغال الخبر في الرحلة العلية إلى منطقة توات لمحمد باي بلعالم

The mechanisms of operating the news on the attic trip to the Touat region by Muhammad Bey Belalem

محمد سرير [1]
جامعة يحيى فارس المدية
Serirmohamed_2017@yahoo.com

تاريخ الوصول 2022/03/30 القبول 2022/10/20 النشر على الخط 2022/11/05
Received 30/03/2022 Accepted 20/10/2022 Published online 05/11/2022

ملخص:

تتميز الكتابات الرحلية بثراء وتنوع محتواها بقضايا انسانية واجتماعية شغلت بال الرحالة، وعملت على تحريك الجانب المعرفي فيه، كما يعتبر الرحالة ناقلا للمعرفة من مختلف مصادرها الشفاهية والكتابية، وهو بذلك يورد مجموعة من الأخبار المختلفة، وقد تضم الخبر الاجتماعي والديني والسياسي والثقافي والجغرافي، عاملا على كتابة ذلك ضمن نسيج ونسق سردي يخاطب فيه المتلقي بطريقة مباشرة، ليكون النص بذلك وسيلة اخبارية ضمن خطاب سردي رحلي، حيث يعمل الرحالة على انتقاء الخبر وطريقة تقديمة للقارئ، وفق مايراه يتوافق مع مكتسباته المعرفية.

الكلمات المفتاحية: رحلة، خبر، سرد، خطاب، معرفة.

Abstract:

The nomadic writings are characterized by the richness and diversity of their content with human and social issues that preoccupied the travellers and worked to move the inner side of knowledge. Writing it within a narrative fabric and format in which it addresses the recipient in a direct way so that the text becomes a news medium within a travelling narrative discourse, where the traveller works on selecting the news and the way to present it to the reader, according to what he sees consistent with his knowledge acquisitions

Keywords: journey, news, narration, discourse, knowledge

[1] – المؤلف المرسل: **محمد سرير** البريد الالكتروني: **Serirmohamed_2017@yahoo.com**

1. مقدمة:

عرف السرد الرحلي العديد من الكتابات الممتدة في الزمن، فقد كان هناك ابن فضلان في القرن الرابع الهجري، والمسعودي في كتابه أخبار الزمان، وابن بطوطة وابن جبير الأندلسي، كما نجد المقري التلمساني وابن خلدون، فقد كتبوا عن أخبار تنوعت مجالاتها بين الثقافي والديني والاجتماعي والتاريخي، وكان كل ذلك تحت سلطة السرد الذي حوى الذات في نظرتها للآخر من جوانب مختلفة.

إضافة إلى ذلك نجد تواصل السرد الرحلي في الكتابات الحديثة على المستوى العربي مثل أمين الريحاني الرحالة اللبناني، ورفاعة رافع الطهطاوي، وعلى المستوى الجزائري نجد رحلة ابن حمادوش الجزائري، والشيخ الحسين بن محمد الورثلاني، كما نجد الرحلة العلية لصاحبها الشيخ محمد باي بلعالم، وهي رحلة معاصرة حاولنا من خلالها طرح اشكالية اشتغال آلية الخبر في النص السردي، وكيف تمت تشكيلاته ضمن المتن الرحلي؟.

فقد قام الرحالة بكتابة هذه الرحلة التي تعتبر كشكول منوع أو نص ثقافي يعرفنا على العادات والتقاليد المعروفة في المنطقة، كما تعتبر بطاقة تعريفية للمنطقة بما تحمل من مدارس قرآنية وزوايا تعليمية، ضف إلى ذلك طريقة تحفيظ القرآن الكريم، وذكر تقارير عن مراحل تاريخية عرفتها المنطقة إبان فترة الاحتلال الفرنسي، كما أتحف الرحالة كتابه هذا بمناظرات فكرية ودينية حوت العديد من المسائل الفقهية.

وصاحب الرحلة هو الشيخ أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد القبلوي الجزائري الشهير بالشيخ باي، ولد سنة 1930 في قرية ساهل ولاية أدرار، نشأ وسط عائلة عرفت بالعلم والتدين، فاكتسب بذلك ثورة علمية أهلته لبلوغ مراتب سامية في العلم، بسبب ما كتبه من علوم شتى تفرقت بين الفقه والتفسير والحديث، إضافة إلى ذلك علمه بالتاريخ وبعلم الإنسان الذي تمرس في دراسته كثيرا، كما تعد مناظراته وحلقاته العلمية مادة أولية لكتابه الرحلة العلية، توفي سنة 2009.

إن الدراسة التحليلة للخطاب السردي تطلبت منا توظيف المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستعانة بآليات المنج الاجتماعي والمنهج التأويلي في فهم دلالات النص المخبوءة تحت دلالة الألفاظ ضمن سياقاتها المختلفة، هادفين بذلك إلى معرفة تمظهرات الخبر عبر الخطاب السردي الرحلي، ومعرفة طبيعة الكتابة الرحلية في النص السردي المعاصر.

2. الإطار الزماني والمكاني للرحلة

قد عمل الرحالة على كتابة هذه الرحلة في مرحلة متأخرة عن الزمن الفعلي للرحلة، خاصة رحلته إلى المغرب الأقصى سنة 1993 وكان من أهدافها زيارة قبر شيخه الولي "مولاي أحمد الطاهري"، واغتنم الفرصة في ذلك لملاقاة ثلة من الأدباء والفقهاء، والأهل والأصحاب، طبعا نجد الشخصية العلمية للرحالة تفرض نفسها طيلة المسار الرحلي، فهو ذو ثقافة دينية متشبع بحب الدين والشريعة، لذلك نراه يعمل على تأثيث نصه الرحلي بما يوافق مذهبه العلمي، كما عمل الرحالة على المزج بين أزمنة متعددة في الرحلة، فقد رجع في بعض المناسبات إلى بداية تكوين منطقة توات، كما أرخ للعديد من القبائل كمنطقة تيميمون، تيدكلت، كما عمل على التدرج في السلم الزمني متتبعا تطور وتغير العادات والتقاليد، حتى وصل إلى الزمن المعاصر، الذي يذكر فيه ثلة من المسؤولين الذين كان لهم الفضل في كثير من الأعمال الصالحة، ويذكر على رأسهم الرئيس عبد العزيز

بوتفليقة، كما حظي زمن الاستعمار الفرنسي بمساحة لابأس بها، فقد ذكر العديد من الأحداث والمعارك التي سمع بها ومنها من عاشها، فقد كانت كتابته بمثابة التسجيل التاريخي لأحداث قد يغفلها المؤرخ البعيد عن الحدث.

كما حوت الرحلة في إطارها المكاني منطقة توات بمقاطعاتها الثلاث: تيدكلت، توات، قرارة تيميمون، محاولا ذكر جل القبائل التي استوطنت المنطقة، مركزا على مناخها وأهم النباتات التي تغطي سطحها الجغرافي، ضف إلى ذلك الوديان التي تتمركز بها، كما اتسع الفضاء الرحلي ليشمل منطقة المغرب الأقصى التي كانت فرصة له لزيارة ومحاورة شيوخ الدين وزيارة بعض الزوايا، كزاوية أولاد السباعي بمراكش، وزاوية محمد الحبيب الدرقاوية بمكناس، وجامع القرويين بفاس، ومقام الشيخ عبد السلام بن مشيش في قمم جبال شمال المغرب، كما زين الرحالة مدونته الرحلية بذكر لأهم الزوايا الموجودة في المدن الجزائرية، لتكون الرحلة بذلك قاموسا ثريا لمنطقة توات وقاموسا معرفيا للباحثين والطلاب.

3. الخبر الاجتماعي

جاء الخبر الاجتماعي خاضعا للتنوع المعرفي، حيث نجد الرحالة يورد أخبارا مستوحاة من قبل المجتمع وذلك باعتباره فاعلا اجتماعيا، يتأثر بما هو محيط به، كما يحاول التقرب من المتلقي الذي يدرك أنه جامع لمعلومات عامة، لكن هدف إفادة الخبر تبقى قائمة وهي من الدوافع الأساسية للكتابة الرحلية، حتى ولوعمل الرحالة على نقل الخبر من مصدر معين ثم يعيد صياغته بنفس السند فهو بذلك ناقل للمعرفة وهذا من قواعد نقل العلم الذي يعتمد على الرواية والتدوين، "ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر، ونقرهم آثار الأوائل في الصخر، لبطل أول العلم وضاع آخره، ولذلك قيل: "لايزال الناس بخير ما بقي الأول يتعلم منه الآخر"[1]، وأول ما يثيره الرحالة هو أصل ونسبة المنطقة التي ينتمي إليها، يقول: "سميت توات خلال سنة 518هـ اشتق اسمها من الأتوات، وهي المغارم وقيل من الفواكه والخضر التي دفعت مقابل الأتوات للملوك الموحدين، وقيل اشتق اسمها من أحد البطون المنحدرة من سكان الصحراء الملثمين، وهذا رأي الرصاع، وقيل مشتقة من مرض الرجلين يسمى (توات) وهذا من خلال قصة تنسب إلى السلطان كنكان موسى أثناء سفره للحج، وفي منطقة توات تخلف عنه كثير من أصحابه لوجع أصابهم يسمى تواتا، فسكنوا فيها فسمي الموضع باسم المرض، وقيل سميت بذلك لأنها تواتي للعبادة والاستقرار"[2]، نلمس الأسلوب الخبري الّذي يتّبعه الرحالة في الكتابة، لأجل تنبيه القارئ وبلوغ درجة التأثير، حتى يضمن نجاحا لخطابه، معتمدا على الذاكرة وتعدد أوجه الخبر، وعلى المقارنة هادفا بذلك إلى إقناع القارئ، بأن يوصل إليه ثقافة حقيقية، تجد مكانا لها ضمن مكتسباته ومرجعيته ثقافية، فيخلق فيه شيئا من التفكير والتدبر، دون أن يخرجه من عالم المتعة والتسلية.

ومن عادات المجتمع التواتي إنشاء ما يسمى بالقصبات كحصن يقيهم شر العدوّ "وأما القصبات في سائر الدوائر وهي كانت الحصون في الماضي، وما من قصبة إلا يحيط بها خندق وعند الباب توجد قنطرة ولكن الكثير من القلاع أي القصابي خربت وبقيت آثارها وبقي الاسم على القرية مثل قصبة بلال مثلا، وقصبة ميخاف في أولف الوسط، وقصبة السيّد، وقصبة الجنات في تمقطن"[3]،

[1] – الجاحظ، الرسائل، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ج2، ص 383.

[2] – بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015،ج01 ص59.

[3] – المصدر نفسه، ص 57.

يشير الرحالة إلى عادة اجتماعية مارسها المجتمع التواتي كوسيل للحماية، إلا أن هذه القلاع اندثرت، يحاول الرحالة بدأ الخبر من أوله ثم يحيل على نهايته، عاملا على مخاطبة ذهن القارئ وتوقع الأسئلة الممكنة وتحضير الإجابة الملائمة لذلك.

ومن أقوال الرحالة وصفه لعشبة الشاهي ومنافعها الصحية وهي للعارف بالله سيدي محمد البكري بن عبد الرحمن التنلاني التواتي :

ظهر بالصين لبعض وزرا	ملوكه بسبب فانجبرا
واستعملوه لوهيج الجوفى	فبرءوا منه بغب خوفي
وذاك يا ذا اللب في الحادي عشر	من بعد الألف نعمة على البشر
وينفع الشاهي من الأحزان	والتخم والعفينة في الأبدان
وثقل الأعضاء والبروده	والنوم والتخدير والجموده
وضرر العقرب والجدري	ووجع الركب في المروي
ووجع الصدر وشر البلغم	وضرر الدم وضر العظم
كذا الزكام وسقام العين	وضرر المداغ دون مين[1]

وتطول القصيدة في ذكر منافع عشبة الشاهي والتي يصل عدد أبياتها إلى 81 بيتا، يشير الرحالة إلى المكان التي ظهرت فيه، مخبرا عن فوائدها الجمة التي يراها تفيد القارئ، إنه يعمل على انتاج معرفة تفيد المجتمع، فهي خلاصة تجربة فردية يعمل على تقديمها في قالب شعري، وهو فن وافق هوى في النفس ونجد في ذكره محاكاة للتراث العربي الذي جعل في الشعر أخبار أيامه وفضائل حكمه.

هناك عادة اجتماعية أخرى تهدف إلى تعليم الطفل القرآن الكريم، وقد تختلف الطريقة من منطقة لأخرى على حسب الظروف المتوفرة وفي هذه المنطقة يكون "التحاق الصبي بالمدرسة القرآنية لتعليم كتاب الله تعالى يختلف باختلاف الصبي، فتارة يكون ذلك في سن مبكرة وتارة على العكس على حسب إفصاح الصبي، وفي الغالب يوجه إلى المدرسة القرآنية في السنة الرابعة، والمدرسة القرآنية ولله الحمد موجودة في كل قرية من قرى هذا القطر المومن بالله تعالى، المتشبع بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ومحبة القرآن وحملته والعلم وأهله"[2].

ويعبر عن هذه المناسبة السعيدة بوليمة يحضرها أقارب الصبي ورجال الحي، وتكون عادة الإطعام عادة تمتد في تاريخها إلى عادة الكرم والجود اللذين عرفا في الإنسان في عدة مناطق مختلفة "وبهذه المناسبة مناسبة التحاق الطفل بالكتاب القرآني يقام حفل عظيم وتصنع مائدة تشتمل على التمر واللبن والخريرة والخبز الرقيق المحلى المأدوم بالسمن اللذيذ يدعى لتلك المائدة رجال الحي وفي مقدمتهم تلاميذ المدرسة القرآنية، فيتناولون الطعام وبإثر ذلك يقدم لوح الصبي للمعلم فيكتب فيه بعد البسملة الآيات الاخيرة من

[1] – المصدر نفسه، ص 226.

[2] – المصدر نفسه، ص 292.

سورة الإسراء (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن) الإسراء: 110 إلى آخر السورة، وهو تفاؤل حسن لأن تلك الآيات كما تعلم تدعوا إلى عبادة الله تعالى وتصحيح العقيدة"[1].

يحاول الرحالة نقل صورة اجتماعية للآخر الذي قد يجهل هذه المعلومة، ويؤكد الرحالة على صحتها، معتمدا في ذلك الواقع الجماعي، حتى يكسب خطابة نوعا من الصدق، ويكسب بذلك ثقة القارئ، كما نرى توظيفه للخطاب القرآني الرامز إلى الثقافة الدينية، التي تنبئ عن روح الجماعة المراد الإخبار عنها.

4. الخبر الجغرافي:

يعمل الرحالة على تتبع المسالك الجغرافية وأحوال الطقس وما يلحق ذلك من نباتات وحيوانات، محاولا بذلك نقل مشاهدات مباشرة للقارئ، ويعد العامل الجغرافي من العناصر البنائية للخطاب الرحلي، وقد تميز العرب في هذا المجال عن باقي الشعوب الأخرى، "ولكن يجب الاعتراف بأن المنهج الثاني، أي منهج الجغرافيا الوصفية هو الذي يسترعي النظر بغزارة مادته وهو الذي يغلب على الأدب الجغرافي العربي ويسبغ عليه طابعه المميز ويعطيه شكله الخاص به مما يصعب إيجاد مثيل له في آداب الامم الأخرى"[2] حيث كانت لهم أسبقية الكتابة فيه، فقد حوى الشعر العربي الكثير من أوصاف وأخبار المواقع الجغرافية، ونجد هنا الرحالة يحدد جغرافية منطقة توات "توات منطقة جزائرية لا تتجزأ منها، دينها الإسلام، وموقعها الجنوب الجزائري وتنقسم إلى ثلاثة مناطق: أولا: تديكلت من فقارة الزوى شرق عين صالح إلى تيمقطن، ثانيا: المنطقة الوسط من عريان الراس (تسابيت) إلى انتهنت (رقان) ثالثا: منطقة قرارة (تيميمون) إلى تبلكوزة، يحدها شمالا واد الساورة، وجنوبا تنزروف، وغربا علاق أركشاش، وشرقا آمقيد في الجنوب الشرقي والهقار وفي الشرق الشمالي المنيعة"[3].

كما يعمل الرحالة على توظيف الخبر الجغرافي مخبرا عن أصل السكان، وهذا ينبئ عن ثقافته وسعة اطلاعه على تاريخ المنطقة، فالرحالة يعتبر خزانا للمادة العلمية المراد التعبير عنها، كما يعد هنا مخبرا عن منطقة ينتمي إليها، عارفا بأحوالها وتقاليدها، إنه ينطلق من ثقافته العالمة، ليعمل بذلك على التعريف بذاته أمام جمهور القراء، يقول: "وسكانها يتألفون من قبائل متعددة نزحوا لها من شمال الوطن وغربه وشرقه ومن المغرب العربي ومن الشرق الأقصى ومن أفريقيا السوداء، تاريخ عمارتها يرجع إلى ما قبل الإسلام وكانت تسمى بالصحراء القبلية –بكاف معقودة– ثم كثرت عمارتها بعد جفاف (نهر جير) في غضون القرن الرابع للهجرة وهي أرض ذات سباخ كثيرة الرمال والرياح لا تحيط بها جبال ولا أشجار"[4].

كما يركز الرحالة على عنصر مهم تمثل في منبع الماء الذي يخرج بطريقة معينة تسمى الفقاقير وهي تعتبر من خصائص المنطقة الصحراوية، التي قد يجهلها من هو بعيد عنها، من هنا جاء الخبر الجغرافي كمادة تثقيفية وتعليمية تفيد المتلقي، كما تعمل على نشر ثقافة الأنا مقابل الآخر، الذي يراه الرحالة في حالة افتقار للمعرفة يقول: "فالموارد المائية التي هي روح الفلاحة تتمثل في الفقاقير، وحيث أن منطقتنا صحراء جرداء لا توجد بها بحار ولا سدود شاءت الحكمة الإلهية أن يلهم سكان الناحية عملية

[1] – المصدر نفسه، ص 293.
[2] – كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والتوزيع، 1963،ص 18.
[3] – بلعالم محمد باي، الرحلة العلية، ج01، ص 59
[4] – المصدر نفسه، ص 59.

أحداث الفقاقير والتوسع في هندستها، والفقارة عبارة عن سلسلة من الآبار بين كل بئر وبئر مثل درجات السلم، نفق يبدأ العمل فيها من مكان عالي ولا يزال ينحدر من أعلى إلى أسفل وقد يوجد في عمق بعض الآبار ما يزيد على أربعين مترا(40 م) ثم ينخفض العمق إلى أن تخرج على وجه الأرض فهي غريبة في شكلها وفي تخطيطها وهندستها"[1]، يمتد السرد الرحلي ليتم عملية الإخبار التي تخلف مصادرها وتتنوع مادتها، وبذلك يتحول السرد إلى كتابة تقريرية تزيد من أحقية ومصداقية المعلومة في نفس القارئ، "إن السرد في خطاب الرحلة هو بمثابة الإطار، ويأتي التقرير ليتضمن السرد، وينتهي التقرير بظهور فعل سردي جديد، ينقلنا إلى فضاء يقدم بوساطة التقرير"[2].

تبعا للمورد المائي الباطني ينتقل الرحالة إلى ذكر الأودية المتواجدة على سطح المنطقة، والتي تتوزع على مساحات مختلفة وتنمو خلالها نباتات متباينة، هذا التعبير الناقل لمشهد مباشر بأسلوب بسيط، فالرحالة يهدف من خلال كتابته إلى تقديمها لقارئ عام يستطيع فهم فحوى الخطاب الرحلي، ويذكر أسماء بربرية تنم عن الثقافة السائدة في المنطقة، "وهذه الأودية تحمل نباتات وأشجار من الربيع، تختلف ألوان تلك النباتات والأشجار ومن الملاحظ أن أكثر الأودية المتواجدة لها اسم بربري دليل على أن البربر والتوارق كانوا يسكنون في هذه النواحي، فنذكر بعض تلك الأودية عل سبيل المثال لا علي سبيل الحصر، واد تمكطن، واد تسديد، واد تفركماسن في البيضاء، واد الطلحاي، واد أكلكلات، واد مكركر، واد اسكاف، واد اسميده، وديان الجرف"[3].

يواصل الرحالة الإخبار عن الثقافة البربرية وذلك بذكر الأسماء البربرية لشجرة النخيل مثل: "تجازة، تناصر، ورقلية، مسعودية، بمخلوف، أحرطان، تزرزاي، تنكعشت، تنقربوش، أشداخ، تدمام، تنبوزيري، تندكان، تنقورة، تنجدل، الشيخ امحمد، تلمسوا، أدكلي، لعظم، أغموا، بزول العود، تمليحة، بفقوس، تنقسري، إقنقن"[4]، هذا التزاوج بين الثقافتين العربية والبربرية ينم عن توحد الشعبين فقد جمعتهما أرض واحدة وتاريخ واحد، فقد جاء الخطاب الرحلي كهمزة وصل بين أزمنة مختلفة، عملت على احتواء الفكر الإنساني حاملة إياه على العمل الجماعي الذي يحقق الوحدة القومية ويفرض التعايش السلمي، ومثال ذلك أسماء بعض النباتات في المنطقة التي لا تزال شاهدة على ثقافة قديمة توارثتها الأجيال ولازالت قائمة إلى يومنا هذا: "أم ركبة، تطرات (العطاسة)، الحدج (الحنظل)، البتينة، تجركن، اطليحة، الحشيش، أدرين (الحلفة)، السله، الحمى، الحريشة، والمكر، الحلمة، الحبالية، والغسال، والنكد، والركيك، والطلح، وتمات، اليعضيض"[5].

هذه الأسماء حققت التواصل الحضاري، ورسمت طريقا واضح المعالم لأبناء الزمن الحديث، الذين يعيشون في ظل ثقافة مهيمنة على الأنا الجماعي، والتي جاء الرحالة كمتحدث ومبلغ عنها "إن الرحلة إذا قديمة قدم الإنسان ذاته، وكما لعبت دورها في الكشف الجغرافي فقد يحصل معها أيضا الاتصال بين الشعوب، واكتساب معرفة الواحد بالآخر، خصوصا فيما يتعلق باللغة والتقاليد والعادات"[6].

---

[1] – المصدر نفسه، ص 116.

[2] – يقطين سعيد ، ، السرد العربي، تجليات و مفاهيم، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط.1، 2006، ص218.

[3] – بلعالم محمد باي، الرحلة العلية ، ج02 ص 252.

[4] – المصدر نفسه، ص 122.

[5] – المصدر نفسه، ج02 ص 253.

[6] – حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، عدد 138، ص 22.

5. الخبر الثقافي:

يؤكد الرحالة على ثقافة المنطقة الآهلة بعلمائها وفقهائها، ويعد المجتمع هو الحاضن الأول للثقافة، لتكون الحياة الاجتماعية بذلك الحقل الذي يتحرك فيه العالم حيث يبدا بجمع البيانات وتصنيفها ثم يعمد إلى دراستها ليحقق بذلك نظريات وقوانين تستخدم كمرجعيات في البحث العلمي، فالسارد الرحلي يعمد إلى ذكر ثقافة المنطقة وما شابها من أحداث ومشاهد، يقول: "فإن تواتا بحكم موقعها الجغرافي وماضيها التاريخي والحضاري ومقاطعاتها الثلاث: تديكلت-توات- قرارة كانت ولا تزال تلعب دورا بالغ الأهمية في نشر الإسلام والثقافة العربية لا في الصحراء فحسب، بل في الكثير من بقاع العالم، وقد كانت آهلة بالعلماء والأدباء"[1]، هي رسالة موجهة للغير تنم عن شساعة الثقافة التواتية التي تمتد في التاريخ، وقد عمل الرحالة على تأطير هذه الثقافة وفق قواعد ومفاهيم في مختلف الميادين، وذلك ليعكس الحالة العلمية للمنطقة.

فقد عمل على توجيه الخبر الثقافي نحو العلماء والمعلمين، بصفتهم القاعدة الأولى للفكر التواتي، كما اهتم بذكر أوصافهم الخلقية المتمثلة في التواضع وحب العلم وتعليمه، "لقد كان أولئك الأسلاف المجاهدون لا يعرفون الدرهم ولا الدينار، مقابل التعليم فضلا عن الوظيفة، وبفضلهم حفظ الله لنا هذا الدين الإسلامي واللغة العربية، في وقت كان الأعداء من مبشرين ومستعمرين يحاولوا أن يسلخونا من ديننا وثقافتنا، فأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون"[2]، يبين الرحالة وجها من أوجه الثقافة التواتية التي تحاول أخذ تعليماتها الأساسية من العقيدة الإسلامية، وذلك بمحاكاة الرعيل الأول من السلف الصالح الذين وهبوا حياتهم للعلم وللدين، كما يرمز إلى قمة التحدي، فكما نجد من يجتهد ويعمل لأجل الدين نجد في المقابل من يعمل للتفرقة والتشتيت، هي ثنائية ضدية وسنة كونية، حتي يميز الله الحق من الباطل.

يواظب طالب العلم علي حفظ القرآن وإضافة إلى ذلك يفرض عليه حفظ متون العقائد "أما بالنسبة لتعليم المبادئ الدينية في المدرسة القرآنية، فإن المعلم يكتب للصبي تحت لوحه كل يوم قسطا من متونها ويفصل بخط بين القرآن وغيره فيبتدئ له من العقائد، ثم شروط الصلاة، وما يتعلق بها ومن المتون الفقهية الصغرى كالمرشد المعين، والعبقري والقرطبية وغيرها، لتتربي نفسه على محبة الدين والتفقه فيه ولينطبع فقه العبادة في قلبه"[3]، يمكننا القول أن الرحالة هنا وظف آلية العين لينقل لنا هذا المشهد الثقافي، محددا لنا تراتبية دراسية يخضع لها طالب العلم، ليكون بذلك الخبر الثقافي الذي يعد نواة فعل السفر، ونستطيع القول أن السفر هو مجموع الملاحظات التي يلتقطها الرحالة من خلال تنقلاته في المكان والزمان، محاولا في ذلك تحريك ذاكرته، ومزجها مع ما هو آني، ليخرج بمقارنة بين ذاته والآخر، قابلا لما وافقه، ورافضا بشكل فني ما خالفه.

ويقول: "ومن العادة عندنا في المناطق التواتية إهداء التمر للمدارس القرآنية من طرف الموسرين لتوزع على الطلبة بعد صلاة العصر، وذلك في شهر ماي عندما تنفذ الثمار ويتعرض الفقراء للمجاعة، وإذا حل الوباء بالبلد فإن المعلم يأمر الطلبة أن يجمعوا الصدقة من الديار تشفيا بها وتطبيقا للحديث الشريف "الصدقة تدفع البلاء والدعاء يرفع الوباء"، فيجمعون ما بين الشفاءين

[1] – بلعالم محمد باي، الرحلة العلية ، ص 124.
[2] – المصدر نفسه، ص 125.
[3] – المصدر نفسه، ص 295.

الدعاء والصدقة ثم يطوف الطلبة حول القرية يردد صغارها اسم الله اللطيف وأما كبارهم فإنهم يقومون بإنشاء قصائد الأمداح النبوية يستشفعون بذلك إلى الله رفع ما حل بهم"[1].

يتواصل السرد الرحلي بايراد جملة من الأخبار التي تشعر القارئ بالمتعة، لأنه بصدد اكتشاف فضاء جديد، كما يكتشف ذاتا جديدة من خلال الكتابة التي تعد إعادة تنظيم للواقعي، ليكون الحكي بذلك جمعا بين التخيلي والواقعي.

كما تمثل الطب التقليدي في منطقة توات بعدة صور تمثلت في "ربط الكسر التقليدي هذه العملية قديمة وناجحة بنسبة ثمانين في المائة من المصابين بالكسر ولا زالت تستعمل إلى الآن وتتم عن طريق معجون الدقيق والبيض والخرف"[2]، كما نجد عادة الحقن والجراحة "الجراحة واستخراج الأمراض من البطن وخياطة الجرح بعد شق البطن قد كانت هذه العملية في القرون الماضية في زاوية الشيخ البكري وفي انزجمير وبعض القصور لكنها عملية قليلة جدا الدفن في التراب للمصابين بالروماتيزم الحجامة للدغ العقرب وغيره الكي قطع العين بأنبوبة من القصبة كي الضرس بالنار اللدد في الأنف"[3].

يحاول الرحالة إعطاء صورة عامة للحياة الثقافية في المنطقة، عاملا على ذكر الممارسات الفردية لمختلف الصناعات الطبية، والتي تبدو في ظاهرها أنها متوارثة عن الأجداد، خاضعة لمبدأ التجربة، نجد الرحالة يعمل على تكثيف الخبر الثقافي لتأثيث عملية السرد، محاولا توسيع دائرة الخبر بتنويع المكان والزمان، محققا بذلك تعريفا للذات الساردة.

كما يذكر أهم الصناعات التقليدية مثل المنتوجات الحجرية: "الرحي لطحن الحبوب المهارس لصنع الخلوق وأدوية العيون، الصفا للخبز صياغة الذهب والفضة مثل الخلاخل والخزاتم والأساور والخلالات وهذه الصنعة كانت في القديم في تمنطيط وفي تيدماين"[4]، ويذكر أيضا الفن المعماري "يتمثل الفن المعماري في القديم في بناء القلاع والقصور والسكن باللبن غالبا إذ مادة الطين تلائم طقس المنطقة الحارة ويطول عمره اكثر من بناء الإسمنت ولا تؤثر فيه الحرارة ولقد شاهدنا جدرانا مرت عليها القرون ولا زالت على طبيعتها رغم تعاقب الدهور"[5]، يحاول الرحالة تحقيق ما يسمى بالوظيفة التواصلية بينه وبين القارئ بواسطة النص، فهو يحمل مجموعة من الصور الثقافية الماثلة في مكان الرحالة، إنه ناقل لثقافة محلية يحاول إعطاءها صبغة وطنية أو عالمية، عبر الكتابة في فن الرحلة، وهي طريقة طريفة على التعلم، بمعنى أنه أوجد طريقة جديدة لتسويق ثقافته عبر أسلوب أدبي بعيد عن جفاء اللغة التجريدية العلمية، فخلق بذلك جوا من التآلف بينه وبين النص وبين القارئ، "الصلة الحقيقية بين الراوي والمروي يحددها الراوي نفسه، وتحددها الوظيفة التي يراد للمروي أن يقوم بها، وتحددها طقوس الرواية وتقاليدها"[6]، كما نلمس في بنية الخطاب الرحلي قربه من الفن الشفاهي الذي يعتمد البساطة في اللفظ والمعنى، فالسارد هنا كان بمثابة المحول للممارسة الشعبية من طابعها الشفاهي عاملا على تثبيتها بواسطة الكتابة، التي طالما مارسها ورأى من الجدير إبلاغ القراء بما يعد تراثا شعبيا محليا.

[1] – المصدر نفسه، ص 296.
[2] – المصدر نفسه، ج02 ص 254.
[3] – المصدر نفسه، ج02 ص 254.
[4] – المصدر نفسه، ج02، ص 263.
[5] – المصدر نفسه، ج02، ص 265.
[6] – عبد الله ابراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2008 ، ص49.

6. الخبر السياسي:

قد تضمن الخطاب السردي الرحلى جملة من الأخبار السياسية، فالرحالة يتنقل في وسط تكتنفه مجموعة من الأحكام والقوانين، وهو خاضع لها ونجد مثيل هذا ما في رحلة ابن جبير حين كان في القارهرة وذكر ما حدث له مع جمارك الميناء وما لحق به من ظلم، كما نجد ذلك عند ابن فضلان حين ارتحل لبلاد الترك والصقالبة وما حدث له مع امراء المناطق التي مرّ بها، فالعامل السياسي بؤثر بصفة مباشرة على الخطاب الرحلي.

كما يعد المتن السياسي من المواضيع التي تؤثث السرد الرحلي، ولا يكتف الرحالة بحاضر المنطقة بل نراه يعود لماضيها وهو بذلك يحاول إعطاء صورة عامة للقارئ يقول: "لقد عرفت المنطقة غارات وحشية منذ تأسيسها إلى بزوغ شمس الاستقلال وذلك من طرف الأعراب سكان البادية وغيرهم إذ لم يكن آنذاك احترام الحدود واحترام الجوار فكانت الغارات تنتابها من حين لآخر نتيجة ضعف أهلها يخرج أهل القرية لقرية أخرى لأداء صلاة الجمعة مثلا فيجدون العدو قد خلفهم في ذراريهم وأموالهم وهذا هو السبب الرئيسي الذي جعل الجمعات تتعدد في توات هنا وهناك"[1].

يتواصل السرد الرحلي موظفا الخبر السياسي الذي يحاول فيه الرحالة التعريف ببعض القبائل التواتية، مع ذكر مجموعة من الأحداث التي يراها ذات أهمية فإنه ينتقي ما يراه خادما لنسقه المعرفي، وما يلاحظ على الخطاب الرحلي الذي بين أيدينا خلوه من شيوخ القبائل أو القادة السياسيين، إلا ما كان عفويا من ذكر لأسماء الولاة وذكر الرئيس الراحل عبد العزيز بوتفليقة بأسلوب محتشم، لكن القادة الفاعلين خاصة في القديم لا نجد لهم أثرا، بل يذكر لنا الوقائع مقتربا في ذلك من الأسلوب البسيط، لنراه يقترب من أسلوب القصّ يقول: "وفي سنة 1034هـ نزل اولا باحمو في بودة أخذوا منها قافلة ونزلوا بتمنطيط فتبعهم أهل بودة ووقعت بينهم معركة حذو تمنطيط فدخل اولاد باحمو إلى تمنطيط فاخرجهم منها اهلها فنزلوا بغابة "نوم الناس" ورجعوا بكرة لتمنطيط فأخذوا أربعة وثلاثين حمارا واثني عشر طفلا وساروا إلى "تيطاف" فتبعهم أهل تمنطيط ووقعت بينهم معركة خارج تكوزة، فخرج أهل تيطاف وأصلحوا بين الطائفتين واشتروا منهم الحمير باثني عشر مثقالا لكل حمار والأطفال بعشرين مثقالا لكل طفل فرجع أهل تمنطيط بدوابهم وأطفالهم وافترق الجمعان، ثم بعد ثلاثة أيام جاء أهل تيطاف لتمنطيط وطلبوا منهم ما دفعوا لأولاد باحمو فامتنعوا فرفع الأمر لقاضي الجماعة الشيخ سيدي عبد الكريم بين سيدي محمد فأثنى على أهل تيطاف خيرا وحمد سياستهم أمر أهل تمنطيط بدفع ذلك العدد ففعلوا"[2]، يخبرنا الرحالة بهاته القصة والتي نشعر أنه قد اختصرها، كما أنه عاد إلى ذاكرته مستعيدا القصة وقد تكون حضرته زمن الكتابة، لكننا لو عدنا إلى الزمن الحقيقي للحادثة لوجدنا فيها أكثر من هذا بكثير، وهنا يدخل العامل التخيلي، ويتحول الخبر السياسي من الطول إلى القصر "وسمي الخبر الطويل قصصا، لأن بعضه يتبع بعضا حتى يطول، وإذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص، والحديث يكون عمن سلف وعمن حضر ويكون طويلا وقصيرا"[3]،

كما يذكر السياسة الاستعمارية التي تعتمد على توظيف أشخاصا من بني المنطقة ثم تبعثهم كجواسيس وخدم لها، وهنا نلمس الوظيفة التربوية للسرد حيث يتقمص الرحالة شخصية الناصح والمصلح، مظهرا بذلك النقاط السلبية في المجتمع، يقول

[1] – بلعالم محمد باي، الرحلة العلية ، ص 113.

[2] – المصدر نفسه، ص 114.

[3] – العسكري أبو هلال، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه، محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص42.

الرحالة على لسان المستعمر "نحن نخطط لهم وهم ينفذون نحن نسدد الضربات من الخارج وهم يخربون من الداخل، هذا هو التخطيط الاستعماري الإجرامي الذي نفذه هؤلاء العملاء الأنذال الذين باعوا ضمائرهم وتجردوا من إحساسهم الديني وشعورهم القومي وفقدوا غيرتهم الوطنية وشخصيتهم الإسلامية، بل زيفوها لتضليل الناس وخداعهم بمظاهرهم الكاذبة وأقوالهم الخادعة، وزعموا أنهم علماء الدين وأتوا بالبدع والخرافات والمنكرات"[1].

يعود الرحالة للأسلوب العلمي الذي يعتمد على التقيد بالتاريخ، حيث يعمل عل تقريب الكتابة من اليقين، بالرغم من أننا لا نجد السند الذي اعتمده الرحالة ومنه "تصبح إذ ذاك المعرفة الشخصية للرحالة معرفة يقينية، على القارئ الواقعي الذي يشاركه النسق أن يتقبلها على سبيل التأكيد واليقين والحقيقة"[2].

نرى هذا النموذج الذي يقدمه لنا الرحالة المتمثل في استيلاء فرنسا على منطقة الصحراء، لكننا نراه يقدمه بطريقة مباشرة ولا يذكر له تعليقا، فهو بصدد تقديم حدث تاريخي مقيد في الكتب التاريخية، ويتلخص موقفه في ذكر الحدث مفردا، "فقد استولى الفرنسيون على منطقة القرارة في 26 يناير عام 1900م واتخذوا من مدينة تيميمون وهي أكبر مدينة بالمنطقة مركزا حربيا لعملياتهم في الصحراء وفي شهر يوليو من نفس العام استولوا على منطقة توات وفرضت فرنسا بعد ذلك الحكم العسكري على كافة الصحراء الجزائرية وهو الحكم الذي استمر ساريا حتى حصول الجزائر على استقلالها"[3].

بعد ذكر حدث الاستعمار نرى تحرك ذات الرحالة مقدما نقدا للأوضاع المزرية، نرى يحيطها الحزن والبؤس، فعملت على توظيف عنصر الوصف الخارجي الهادف إلى إثارة نفسية المتلقي وجعله يعيش معه نفس الحالة الشعورية من خلال ممارسة فعل القراءة، يقول واصفا صورة المجازر التي خلفها المستعمر الفرنسي بمنطقة تيدلكت:"سادت في هذه المنطقة الدماء الزكية والدموع الغالية وأزهقت الأرواح الطيبة وبقيت الأجساد العارية وماتت البواسل وسجنت الأبطال ونهبت الأموال ورحلت النسوان وشردت الصبيان وقطعوا الرؤوس واغتصبوا الحقول واستولوا على الحصون، سكنوا بعضها وهدموا بعضها واحرقت الكتب"[4]. يعتمد الرحالة في ذكر الخبر على روايات مكتوبة وهي ضمن بحث قام به، وقد صرح سابقا أن هذه الرحلة جمع لمختلف المعلومات والعادات والأخبار التي رأى أنها تستحق التدوين، "لا يكتفي الرحالة بتقديم المرئيات المباشرة في زمنها الحاضر، بل إن طبيعة الموصوفات المجهولة لدى الرحالة، والقارئ أيضا، دفعت بالرحالة إلى تقديم هذه الموصوفات من خلال المصدر التاريخي، سواء كان شفهيا او مكتوبا"[5].

7. الخبر الديني:

قد حاز الخبر الديني على الجزء الأكبر من الرحلة وذلك يرجع إلى ميول الرحالة وتخصصه، فهو بالدرجة الأولى رجل دين وفقه وعقيدة، وكتبه المقدمة والمطبوعة شاهدة على ذلك، وقد أورد الكثير من الأخبار الدينية وعلى رأسها التعريف بشيوخ المنطقة وعلمائها ونجد من بينهم الشيخ السيد محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المتوفي سنة 909هـ، وقد دخل توات سنة 870هـ

[1] – بلعالم محمد باي، الرحلة العلية ، 362.

[2] – بوشعيب الساوري، الرحلة والنسق دراسة في إنتاج النص الرحلي رحلة ابن فضلان نموذجا، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2007، ص187.

[3] – بلعالم محمد باي، الرحلة العلية، ج02، ص 16.

[4] – المصدر نفسه، ج02، ص 309.

[5] – مودن عبد الرحيم، الرحلة المغربية في القران التاسع عشر، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ص 288.

وله فتوى في طرد اليهود من المنطقة مفادها: "إن يهود توات وتكورارين قد حلت دماءهم وأموالهم ونساؤهم لأنه الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية، لا الذمة الجاهلية وإنما تكون لهم الذمة الشرعية مع إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، ويجب أن يلتزموا بجميع أحكام أهل الذمة، لأن الخلاف بين الفقهاء في نقض عهدهم كان في الذمي الذي أخل ببعض الأحكام من غير تصميم واستمرار"[1].

يقدم الرحالة صورة دينية يصور فيها صورة اليهود الذي نقضوا العهود والمواثيق، ولم يحترموا مذهب أهل الذمة، هذه الصورة التي تعكس لنا موقف الرحالة مما سمعه من أخبار اليهود ولم يره، إنه ينقل خبرا قد رسم له إطارا معينا في مخيلته وأراد أن يشارك القارئ فيه، قد أحضر من الماضي صورة التي قد تكون " تمثيلية فردية أو جماعية، حيث تدخل عناصر ثقافية وعاطفية موضوعية وذاتية"[2]، فالرحالة يريد أن يعكس واقعا معينا من خلال ربطه بالماضي، الذي يرى فيه متنفسا وأملا يجب أن يذكره للجيل الجديد، فهي بذلك رسالة تترجم ذات الرحالة أمام الآخر.

يدرك الرحالة أن خطاب الرحلة قد يتداوله العربي وغير العربي، فهو متيقن أن هناك آخرا يريد الاطلاع على ثقافته، كما اطلع هو على ثقافة الغير، كما ينظر لليهودي وللفرنسي وحتى للصحراوي من بني جلدته الذي خالفه الرأي والعادة والهوية، آخرا يدفعه إلى الكتابة بمنطق الإفهام وإقامة الحجة، حتى يحقق تواصلا معه "الآخر الذي تقضي الذات بمخالفته لها وتحكم باختلافه عنها في نظم الحياة كلها: في العادات والتقاليد والأذواق واللسان والدين... والفاحص متى نظر في الصورة التي ترسمها الذات للآخر، فإنه يتبين أن تلك الصورة مزيج غريب وغير متجانس من العواطف والأحكام، فقد تكون في الوقت ذاته تحمل مشاعر الإشباع والاستهجان والاستغراب من جهة، وتطفح بمشاعر الاستحسان والتقدير والتعظيم من جهة أخرى"[3].

يورد الرحالة نص رسالة بعثها الشيخ محمد البكري إلى السيد الشريف المنيف مولاي أحمد بن مولاي المهدي التزذالتي يقول في جزء منها: "ولما نسي أهل زماننا ما خلقوا لأجله واشتغلوا بالأسباب وغابوا عن مسببها وعن طاعته سلبوا الرشد في أمر الدارين فلا ترى ذا حرفة ثابتا فيها لا يتحول عنها لغيرها بل تراه يتكلف بجمع حرف فلا تجد بركة واحدة ولا ينالها لأن طلب الشيء من وجه واحد أقرب لحصوله وإليه أشار بقوله عليه السلام: "إذا رزق أحدكم من وجه فلا يدعه"، فانظر إلى القدماء واشتغال كل واحد منهم بحرفته التي قسمت له لا يتعداها لغيرها، إلا إذا حصل له الإذن بالاشتغال، بخلاف بني الزمان لأن الدنيا قد أذنت بالارتحال، وهي الآن عجوز في الغابرين، فلا بد من أسباب تنهدم بها دعائم هذا العلم شيئا فشيئا، إلى أن ينهدم بالصحفة مرة واحدة"[4]. قد عاش الرحالة مع قومه زمنا يسمح له بمعرفته، ويدرك أغواره فيحكم على الحالة الراهنة بما توفر له من مقومات فكرية، وذكره لهذه الرسالة من الزمن الماضي ما هو إلا دليل تشابه في الأحداث بين الماضي والحاضر، فهو يذكر نصا ماضيا ليقيم به الحجة على الحاضر، بالرغم من أنه لم يذكر خبرا عن الزمن الحاضر، وهذا السكوت ينم عن تغييب لحقيقة قد يقول أهل الزمان انها مألوفة

[1] – بلعالم محمد باي، الرحلة العلية ، ص 128.

[2] – علوش سعيد، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط.1، 1987، ص482.

[3] – العلوي سعيد بنسعيد ، أوربا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، كلية الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط.1، 1995 ، ص 11.

[4] – المصدر نفسه، ص 239.

وواضحة فاستعمل الأسلوب غير المباشر لذكرها، "فالاختلاط والحياة مع الشعوب المختلفة، إضافة إلى الاجتهاد في دراسة أخلاقهم وطباعهم والتحقق في دياناتهم و نظم حكمهم، غالبا ما تضع أمام الفرد مجالا طيبا للمقارنة كما تساعده –ولا شك– على تقييم نظم و تقاليد بلده وموطنه"[1]

إنّ حركية الرحلة المستمرة في الزمان والمكان، جعلت الرّحالة يعمل على استنباط سمات دالة، جمع فيها بين العقل والذات، محاولا استيعاب الآخر واحتواءه، وفق مايراه خادما لرحلاته، فنلمس بذلك سلطة الآخر تتحكم في المسار الرحلي، فالكتابة قد أحكمت بمشاهد ومحادثات وقعت أثناء الرحلة، فهي الفعل المسيطر على السارد، الذي اتسمت كتابته بوظيفة تعليمية، حددها السؤال الشفاهي المتكرر عبر محطات الخطاب الرحلي. ومن هذه الأسئلة التي تواجهه على سبيل المثال: ما التصوف وما حقيقته، وما علاقة أهل الزمان به؟. ويقول مجيبا: "ثم اعلم يا أخي أن السادة الصوفية نقحوا طريقهم وهذبوها وحصنوها بالشريعة، ثم مضى زمنهم وخلف من بعدهم خلف اكتسبوا الاسم والانتساب وتركوا العمل والمجاهدة لمخالفة النفس وانكبوا على شهواتهم وما يوافق نفوسهم فإذا وجدوا قولا من أحد لا يوافق ما هم عليه تبجحوا بكلمة من واجب قائلها أن تخمد أنفاسه وهي نحن أهل الباطن وأنتم أهل الظاهر وما الشريعة إلا قشر للحقيقة، وأمثال هذا كثير"[2]

يعمل الرحالة على نقل صورة دينية عرفت في المنطقة متبعا في ذلك أسلوب الاصلاح الذي نراه جاء مضمرا في الخطاب الرحلي، فالطرق الصوفية زاد اتساعها وكثر منتسبوها، الذين عرف عنهم الجهل والسذاجة، ويتبعون ما يقوله زعماءهم الذين زاغوا عن الطريق الصحيح، هي مفارقة بينية يحاول الرحالة الوقوف عليها في كتاباته،"ومع أن الغالب هو ارتحال من مكان إلى آخر، لكن ذلك قد يترافق مع ارتحال في الزمان، أو ارتحال في الأفكار، فلا يشترط بالارتحال أن يقتصر على الإنتقال بين الأمكنة، إنما قد يكون ارتحالا من الحاضر إلى الماضي، أو يكون بحثا في قضية أو فكرة، بهدف كشفها، وكل ذلك يتيح للشخصية ان تخوض تجارب مغايرة، تتصل باختلاف الأزمنة و الأمكنة، والقضايا التي يروم السرد تمثيلها"[3]

تحاول الذات إدراك ما يحيط بها من متغيرات داخلية وخارجية، لذا نجدها تهرع إلى الكتابة كنوع من التفريغ الآلي متوجهة في خطابها إلى الآخر مستعملة في ذلك آلية الخبر ضمن نسيج سردي خاص، وقد يختار الكاتب جنس الرحلة لما يجد فيه من فسحة في الكتابة، وتشريح للذات وفهم للواقع كل ذلك في إطار تخيلي يتلاعب فيه بالزمان والمكان وفق ما يراه يخدم نسقه المعرفي.

8. خاتمة:

عرف الإنسان الكتابة منذ العهود الأولى، عاملا في ذلك على ترجمة مختلف مستويات الخبر التي تحيط به، فكان بذلك الخبر الاجتماعي الذي حاول فيه فهم النسيج الاجتماعي وعلاقة الفرد بالمجتمع، كما عمل على محاورة الخبر الديني الذي يعد من الركائز الأساسية التي تنبني عليها الذات، مضيفا إلى ذلك الخبر التاريخي الذي يحاول رؤية ذاته فيه وعمل على مدّ جسر ثقافي بين الماضي والحاضر، ليتحول إلى الخبر الثقافي الذي ينبئ عن الحالة الثقافية السائدة في المجتمع مع ذكر أهم العادات والتقاليد الخادمة للفكر الإنساني.

---

[1] – حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، العدد 138، مطابع الرسالة، الكويت، ص21.

[2] – بلعالم محمد باي، الرحلة العلية، ص 406.

[3] – عبد الله ابراهيم، موسوعة السرد العربي، ج02 ص 494

تعد الكتابة الرحلية ذات تنوع أجناسي، فإننا نجد الأسلوب التقرير، والعلمي، إضافة إلى الأسلوب الأدبي الذي يتخلله الجانب الخيالي في الرحلة، ويتجلى ذلك في استحضار أزمنة وأمكنة مختلفة، وكذلك شخصيات متنوعة تخدم الجانب المعرفي للنص الرحلي، كما تبرز لنا قيمة الشخصية المرتحلة.

تعمل الرحلة على محاورة المتلقي الذي يعتبر الدافع الأول للكتابة، فالكاتب الرحالة يريد إيصال فكرة معينة للقارئ، لذا نراه يختار ألفاظه وعباراته، بأسلوب قصصي وعلمي، عاملا على زرع روح التشويق في نفس القارئ.

الرحلة العلية من الأدب الجزائري المعاصر، فهي تعتبر وعاء ثقافي لثقافات متنوعة، ومصدرا علميا لتساؤلات الكثير من الباحثين، كما أنها أفادت السيرة العربية بذكر أهم الشيوخ والعلماء، بترجماتهم وعلومهم التي لازال ينتفع بها الكثير من الناس.

قد عمل السرد الرحلي على محاورة الذات فكان بذلك الوسيلة التي حققت التواصل مع الآخر في إطار تفاعلي، مستخدمة جملة من المفاهيم الإنسانية لرسم قالب الكتابة الذي تحدده العناصر الثقافية بمختلف ميادينها.

9. قائمة المراجع:

1- الجاحظ، الرسائل، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ج2،

2 - العلوي سعيد بنسعيد ، أوربا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، كلية الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط.1، 1995.

3- العسكري أبو هلال، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه، محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

4 - بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع الجزائر، 2015.

5 - بوشعيب الساوري، الرحلة والنسق دراسة في إنتاج النص الرحلي رحلة ابن فضلان نموذجا، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2007.

6 - حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، عدد 138.

7 - عبد الله ابراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2008.

8 - علوش سعيد، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط.1، 1987.

9 - كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والتوزيع، القاهرة. 1963.

10 - مودن عبد الرحيم، الرحلة المغربية في القران التاسع عشر، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي. 2006.

11- يقطين سعيد ، السرد العربي، تجليات و مفاهيم، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط.1، 2006.